

تخييل التاريخ الوطني في رواية "أنا وحاييم" ل: الحبيب السائح.

Fictionalizing National History in the novel "Ana wa Haim" Al-Habib Al-Sayeh.

حاتم زيدان¹

Zidane hatem¹

¹ جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر).

البريد الإلكتروني : zidanehatem95@gmail.com

تاريخ النشر: 2022-01-30	تاريخ القبول: 2021-07-26	تاريخ التحكيم: 2021-07-18	تاريخ الإرسال: 2021-07-08
-------------------------	--------------------------	---------------------------	---------------------------



ترنو هذه الورقة البحثية المعنونة ب: تخييل التاريخ الوطني في رواية "أنا وحاييم" ل: الحبيب السائح، إلى محاولة اكتشاف تمثلات التاريخ الوطني في الرواية الجزائرية المعاصرة، وقد تطرقنا من خلال ذلك إلى ثلاثة عناصر مهمة في دراستنا هي: تداعي الذاكرة التاريخية، والوثيقة التاريخية واستدعاء الشخصيات التاريخية، وبما أن مواضيع التاريخ ألهمت الروائيين القدامى وما زالت إلى الآن تلهم الكثير منهم، فإننا وجدنا في هذه الرواية ما استفزنا للحفر فيها بحثا عن تمثلات التاريخ من خلالها، وقد عرجنا من خلال هذه الدراسة على العلاقة بين الرواية والتاريخ، وتناولنا كذلك مفهوم الرواية التاريخية، لذلك نطرح الإشكال الآتي: كيف تمثل التاريخ روايا من خلال هذه المدونة، وفيما تمثلت العناصر التاريخية التي استعان بها الروائي الجزائري "الحبيب السائح" لبناء نصه الروائي.

الكلمات المفتاحية: سرد، تاريخ، رواية جزائرية، أنا وحاييم.

Abstract:

This paper entitled "Fictional National History in Haim and I's novel : AL-Habib Al-Saeh aims to explore the national history of contemporary Algerian fiction, and we explored three important elements of our study: The historical memory, historical document, and the recall of historical figures fall apart. Since the themes of history inspired the old novelists, and still inspires many of them, we found in this novel what provoked us to dig through it and find historical statues through it. Through this study, we reflected on the relationship between the novel and history. We also addressed the concept of the historical novel, and therefore we pose the following problem: how history is represented as a novel through this blog, while the historical elements that the Algerian novelist "Al-Habib Al-Saeh" used to build his novel were represented.

Kays words : Narrative, history, Algerian novel, Haim and I.

أولاً- الرواية (السرد) والتاريخ:

تختلف الرواية عن الأجناس الأدبية الأخرى حتى تلك التي تشترك معها في خاصية النثر كالقصة مثلاً، فهي جنس أدبي نثري مطول يقول "فورستير" أن: «الرواية عمل نثري تخييلي بطول معين»¹، كان ظهوره في الغرب مرتبطاً بصعود الطبقة البورجوازية بحسب تعبير جورج لوكاتش²، وقد عرف هذا الفن أولاً في الغرب "برواية دون كيشوت لسرفانتيس" قبل أن يكون للعرب نصيب من منه عن طريق اتصال العرب بالغرب (الثقافة) وانتشار الترجمة في القرن التاسع عشر، وبذلك ترجمت أعمال روائية لمبدعين كبار، مما ساعد على ظهورها في الوطن العربي، فظهرت الرواية التاريخية في الأدب العربي وكان "جورجي زيدان" هو الرائد في هذا النمط حسب تاريخ الرواية العربية؛ لأنه اهتم كثيراً بتاريخ الأمة الإسلامية.

والرواية التاريخية ليست هي التاريخ كما بل هي نقل لشخصيات أو أحداث تاريخية وإضفاء الجانب التخيلي على المادة التاريخية فيصبح السرد مزوجاً مع التاريخ لتشكيل الرواية التاريخية، والسرد التاريخي هو «عبارة عن تركيب لفظي مكون من السرد والتاريخ»³، ولو حاولنا إيجاد الفرق بين الرواية والتاريخ، يمكن نقول أن الرواية تعمل على صياغة «الواقع القائم والواقع الممكن أي أنها تكتب عن أشياء وقعت وانقضت عن أخبار تنبأ بمحدثها في المستقبل ممتطية صهوة التخيل لتكتب وتنكتب داخل فضاءات متناقضة ولغات متعارضة وشخص مصنوعة من اليومي الملموس والمحلوم به، وما تدخره الذاكرة الفردية وحتى الجماعية»⁴، أما التاريخ فهو «خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»⁵، فالتاريخ حسب ابن خلدون هو ما نقل أو إخبار عن الإنسان داخل الدائرة الاجتماعية والعمرانية معا.

وحسب تعبير "بور ريكور" فالتاريخ «هو نوع من أنواع السرود، سرد واقعي مقارنة مع سرود أسطورية تخيلية يحيل على أفعال الناس في الماضي»⁶، فالتاريخ هو نقل الماضي كما هو عليه أو كما كان؛ يعني لا يجب أن نزيد أو ننقص أو نغير فيه، ويضيف "ابن خلدون" عن التاريخ قائلاً: «فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية فهو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا»⁷، ومن ثم فإذا قصدنا المادة التاريخية التي يكتبها أو ينقلها المؤرخ فإنها تختلف عن السرد الذي يكتبه الروائي عبر قدراته التخيلية؛ لأن دور المؤرخ يختلف عن الروائي في أن الأول «يعتمد على المادة التي يحصل عليها قد يضيف إليها وجهة نظره بينما الروائي يضيف إلى المادة الروائية خيالات وتصورات...»⁸، فالمؤرخ لا يمكنه أن يضيف خيالات أو تصورات على المادة التاريخية؛ لأنه حسب تعريف بشير مفتي «يفترض فيه أن يكون موضوعياً في كتابته للمادة التاريخية أما الروائي فهو غير موضوعي بالأساس»⁹، وبالتالي فالروائي غير مقلد مثل المؤرخ فهو يأخذ من المادة التاريخية ما يحتاج ويعيد صياغتها بطريقة إبداعية مسافراً بها عبر خيالاته، حيث تقول "مریم فريجات": أن وظيفة «الروائي التاريخي لا تقتصر على إعادة تسجيل الحقائق التاريخية ونقلها إلى القارئ، فهذه مهمة وثائق المؤرخ وسجلاته، وأمّا وظيفة الروائي التاريخي، فتكمن في اختياره من تلك الوثائق والسجلات ما يمثل امتداد لواقعه وحاضره، وما له صلة بواقعه وبفضايا مجتمعه الراهنة، بما يعيد ذهن القارئ إلى تلك الصلة التي تشدُّ الرواية التاريخية إلى الحاضر، على الرغم من توغّلها في الماضي»¹⁰، فهي بذلك تشير إلى دور الروائي الذي يكتب ضمن هذا الفن؛ لأن هذا الأخير يأخذ ما يحتاج من المادة التاريخية ويضفي عليه رؤيته الخاصة عكس المؤرخ الذي ينقله بحرفيته وتوثيقته ووصفيته التي هو عليها، وكما يقول جورج

لوكتاش: ماذا يريد الروائي بعمله التاريخي؟ وكيف يخدم أحداث الحاضر عبر تمثل الماضي؟ وهل يراد بالرواية التاريخية أن تكون مهريا من الحاضر إلى الماضي أو أن تقلب الحاضر إلى الماضي؟¹¹.

ثانيا- الرواية التاريخية:

يعرف "جونثان فيلد" الرواية التاريخية بقوله إن الرواية تعتبر تاريخية عندما تقدم تواريخا وأشخاصا وأحداثا يمكن التعرض إليهم، كما بيّن "ستودارد" أنّ الرواية التاريخية تمثل سجلا لحياة الأشخاص أو لعواطفهم تحت بعض الظروف التاريخية¹²، فالرواية التاريخية من منظورها تسجيل توثيقي إلى حد بعيد، لسجل الإنسان بعواطفه ومعتقداته وعاداته وتقاليده، وكل ما يمكن أن يقدم فكرة عن حياته وعصره.

أمّا معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب في تعريفه للرواية التاريخية، فلم يأت بجديد يذكر عن المنظور السابق، باستثناء بعض الإضافات، ربما تعين على الفهم الصحيح للرواية التاريخية ذات الطابع التقليدي، فهي «سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل، وفيه محاولة لإحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقيين أو خياليين أو بهما معا»¹³.

يمكننا أن نستخلص من التعريف السابق بعض النقاط المهمة، التي تتميز بها الرواية التاريخية التقليدية، وهي في الآتي:

- سرد قصصي يتناول حوادث تاريخية وقعت بالفعل.
 - تسعى إلى إحياء فترات تاريخية من الماضي المجيد أو التليد لأمة من الأمم لغاية تعليمية تثقيفية، أو العكس تماما، فهناك ممن حاول تدنيس التاريخ لغايات سياسية، دينية، مذهبية... إلخ.
 - «التاريخ مرجعية للعمل الروائي»¹⁴.
 - تعتمد على الحقائق التاريخية في بناء الحدث الروائي، أما الخيال فعنصر ثانوي فيها.
- مما لا شك فيه أنّ الرواية التاريخية اليوم تختلف اختلافا واضحا عن الرواية التاريخية التقليدية، التي تميزت كما سبق، باعتمادها على نقل أحداث تاريخية وقعت بالفعل، في زمن من الأزمنة الغابرة، وكيف أنّها غلبت في الكثير من المواضع الحقيقة على الخيال، ذلك أنّ الرواية التاريخية الحديثة (الجديدة) «عمل فني يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته، بقدر ما تصور رؤية الفنان له وتوظيفه لهذه الرؤية، للتعبير عن تجربة من تجاربه، أو موقف من مجتمعه يتخذ التاريخ ذريعة لقوله»¹⁵، ذلك أنّ كتّاب الرواية التاريخية لا يكتبون التاريخ بحرفيته، فهذا من الأعمال التي يضطلع بها المؤرخون دون غيرهم، لكنهم يتناولون التاريخ بالتأويل والتحليل حسب أهدافهم الفكرية، وقد يحدثون شيئا في المسار التاريخي، لأنهم - كما سبق وأن قلنا- لا يكتبون تاريخا، بل يكتبون أدبا ذا خيال فني خلاق، بناء على مرجعية ثقافية وجمالية تناسب عصرهم، وقد يكون هدفهم تحضوي إحيائي لواقع معاش¹⁶، و(قد) في أول الحملة للتقليل لا للتكثير؛ لأنّ الكثير من كتّاب التاريخ كانت لهم أهدافا خبيثة، وإن كانت تبدو في ظاهرها طيبة حسنة، وكلنا يعلم مقدار اللوثات التي دسّها بعض المستشرقين (إن لم نقل جلهم) في بطون كتبهم التي تزعم أنّها تتناول تاريخنا الإسلامي بموضوعية ومنهجية علمية.

من المفاهيم المهمة أيضا للرواية التاريخية الجديدة، ما نجده عند "محمود أمين العالم"، حيث عرفها بأنّها: «بنية زمنية متخيلة خاصة، داخل البنية الحديثة الواقعية، أو بتعبير آخر -أكثر عينية وتحديدًا- هي تاريخ متخيل خاص داخل التاريخ الموضوعي، وقد يكون هذا التاريخ المتخيل تاريخا جزئيا أو عاما، ذاتيا أو مجتمعيًا، ويمكن أن يكون أيضا تاريخا لشخص أو لحدث أو لموقف أو لخبرة، أو لجماعة، أو للحظة تحول اجتماعي إلى غير ذلك، ورغم الاختلاف في الطبيعة البنوية الزمنية بين المتخيل والموضوعي،

فإنَّ بينَ الزمنين أو التاريخين علاقة ضرورية، أكبر من تزامنها، هي علاقة التفاعل بينهما، فبنية الرواية لا تنشأ من فراغ، وإنما هي ثمرة للبنية الواقعية السائدة الاجتماعية والحياتية والثقافية على السواء، وهي ثمرة بلغة التخيل لا بلغة الاستنساخ والانعكاس المباشر»¹⁷.

فالرواية التاريخية من منظوره تعبير إبداعى صادر عن موقع وموقف وممارسة وخبرة حية وثقافية، وهكذا -يضيف محمود أمين العالم- ترتبط بنية الخطاب الروائي ببنية التاريخ الموضوعي، وتختلف طبيعتها باختلاف بنية كل مرحلة من مراحل هذا التاريخ¹⁸، أما عند "جورج لوكاتش" الذي عرفها في كتابه الرواية التاريخية قائلا: «أن ما يهم في الرواية التاريخية، ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة، بل الإيقاظ الشعوري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي»¹⁹، ويضيف بأنها: «رواية تاريخية حقيقية، أي رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات»²⁰.

حقا، إنَّ المعرفة التاريخية كانت وما زالت عاملا أساسيا من عوامل تشكيل بنية الرواية الحديثة وتوسيع وتعميق وتجديد زمنيها وتاريخيتها، برغم هذا الانفصال والتمايز بين التاريخ المتخيل والتاريخ الموضوعي، بل بفضل هذا الانفصال والتمايز في الوقت نفسه²¹.

يمكننا القول إذن، خلاصة لما تقدم، إنَّ الرواية التاريخية إبداع أدبي سردي مُكوّن من خيال خصب وحقيقة موضوعية، أو هي نتيجة لامتزاج التاريخ بالأدب، فالتاريخ ما هو إلا حقائق مجردة لوقائع تاريخية معينة، كما أنَّ التاريخ حين يمتزج مع بنية الرواية يفقد نوعا ما خصوصيته، ويأخذ (طوعا وتطويعا) شكلا جديدا، يكون فنيا في الغالب، ومن هنا يصبح بناء الرواية التاريخية أكثر تعقيدا، وتصبح كتابتها «مخوفة بالمزلق؛ لأنَّ الشخصيات في التاريخ لها وجود محدد، أو بعبارة أخرى هي معدة سلفا، وكذلك الأحداث التاريخية والمكان والزمان وغيرها، وعلى الفنان أن يصوغها صياغة جديدة، لا أن ينقلها كما هي في التاريخ، وهذا العمل هو الذي يجعل اتخاذ التاريخ مادة للرواية عملا مشروعاً»²²، وقد يختلف توظيف التاريخ من روائي إلى آخر وهذا ما يميز الكتابات الروائية التاريخية في الوطن العربي خاصة، منهم سليم البستاني وجورجي زيدان، نجيب محفوظ، محمد فريد أبو حديد، سعيد العريان، جمال الغيطاني... إلخ.

ثالثا- التمثيل السردي للتاريخ الوطني في رواية "أنا وحايم" للحبيب السائح:

نجد في الجزائر العديد من الروائيين الذين ساروا في هذا المنحى وكتبوا روايات تاريخية منطلقين من تاريخ الجزائر المجيد والثورة التحريرية ومنهم: "محمد ديب" في ثلاثيته "الدار الكبيرة"، "الحريق"، "النول"، والطاهر وطار في روايته "اللاز" التي صورت مرحلة من مراحل الثورة، وبعدها رواية "الزلزال" وهي تصوير لما بعد الاستقلال، وفي روايته "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" التي يمتظهر فيها التاريخ الإسلامي، و "واسيني الأعرج" ورواية "مملكة الفراشة" تطرقت إلى مرحلة ساخنة من تاريخ الجزائر وهي الحرب الأهلية في التسعينات، وكذلك "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" والتي تطرقت إلى شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، ونجد أيضا "الحبيب السائح" مثلا في روايته "كولونيل الزبربر" التي تطرقت إلى الثورة ومرحلة العشرية السوداء، وقد اختلفت نظرهم للتاريخ، ولم يقتصروا على كتابة تاريخ الثورة التحريرية فقط، فرواية "شعلة المائدة" للروائي "محمد مفلح" عودة إلى التاريخ العثماني في الجزائر والتحدث بالضبط عن تحرير مدينة وهران من الغزاة الأسبان سنة 1792م، وفي روايته "سفر السالكين" إشارة إلى ذلك أيضا، وكذلك رواية "الرايس" لهاجر قويدري التي تعود بنا إلى فترة الحكم العثماني للجزائر.

وهذه الروايات التي قلنا عنها بأنها تاريخية في سردها حتى وإن لم تتطرق إلى شخصية تاريخية بعينها أو تصور حوادث تاريخية إلا أنها نقلت صورة الشعب الجزائري زمن الاستعمار الفرنسي، لكن يبقى هذا تناول التاريخي يختلف من روائي إلى آخر.

وقد اکتنزت رواية "أنا وحايم" للحبيب السائح بكم هائل من الأحداث التي صاغها الروائي بشكل متشابه بين الماضي والحاضر على لسان الشخصية الرئيسية "أرسلان بن القايد حنفي"، وما يميز هذا العمل الروائي هو طغيان الجانب التراثي والتاريخي فيها؛ لأنها أسدلت الستار عن فترات بعينها من تاريخ الجزائر بداية من 1944م إلى ما بعد الاستقلال 1965م، حيث يظن القارئ لوهلة أنه أمام سرد واقعي حين يوثق الروائي بداية بعض الفصول بتاريخ حقيقية، وكذلك تسمية بعض الأماكن الجزائرية من مثل: سعيدة ومعسكر ووهران والعاصمة ومسميات الشوارع في هذه المدن الجزائرية بأسمائها الحقيقية فترة الاستعمار؛ لأن فيها من تغير بعد الاستقلال.

عند قراءة رواية "أنا وحايم" للحبيب السائح نلغي ذلك الحضور الطاغى للأحداث التاريخية التي وظفها الروائي في عمله بطريقة فنية جمالية في صياغة وحبكة هذه الأحداث، حيث جعل القارئ في كل مرة يتوقف لمعرفة بعض الاصطلاحات التاريخية التي واجهها في رواية "أنا وحايم" بسبب غموضها، وكان استدعاؤه للتاريخ عبر عدة أشكال منها:

1- تداعي الذاكرة التاريخية:

يعتمد "الحبيب السائح" في العديد من الروايات التي كتبها وخاصة تلك التي تتطرق إلى موضوع الثورة على الذاكرة باتكائه على المرجعية التاريخية فيوظف أحداثا وشخصيات تاريخية معتمدا في ذلك على توثيق حوادثه بتاريخ رسمية، وهذا ما يجعل القارئ أمام سرد تاريخي، حيث يعتمد على استدعاء الماضي «وتوظيفه بنائيا عن طريق استعمال الاستدكارات التي تأتي لتلبية بواعث جمالية خالصة في النص الروائي»²³، وما يمكن أن نلاحظه على أعمال الحبيب السائح السابقة -كولونيل الزيرير- وهذه الرواية بالضبط -أنا وحايم- طبعا هو حضور حرب التحرير المسلحة، وهذا لم يقتصر على هذا الروائي فقط بل العديد من الروائيين الجزائريين الذين برعوا في كتابة تاريخ الجزائر روائيا، ومنهم الروائي عبد الوهاب عيساوي وروايته "الديوان الإسبرطي" الفائزة بجائزة "البوكر".

وقد عمد الروائي الحبيب السائح في هذه الرواية إلى كتابة التاريخ الثلاثي للجزائر؛ ما قبل الثورة، زمن الحرب (الثورة)، وما بعد الحرب (الاستقلال)، وبالتالي التركيز على مرحلتين مهمتين من تاريخ هذا البلد.

تتداعى ذكريات البطل "أرسلان" في رواية "أنا وحايم" فيحاول كتابة تاريخه الخاص حينما يقوم بالتركيز وسرد فترة صباه وتعلمه في مرحلة الابتدائي مع صديقه اليهودي حاييم بقوله: «تقدمت وعند الباب الصامت، ذاك الذي رأيت حاييم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية وعشرين عاما كي نتوجه معا لأول مرة إلى مدرسة جول فيري»²⁴، فالشخصية البطلة "أرسلان" بعد مرور ثمانية وعشرين سنة يتذكر صديقه الذي نشأ معه عند مروره على بيته، ومن هنا تبدأ أحداث هذه الرواية في التشكل بداية بسرد طفولة كل من "أرسلان" و"حاييم" بالتفصيل، ومنافستهما في الدراسة عبر الأطوار الثلاثة لأقربهم من الأوربيين (الفرنسيين) والأقدام السوداء (ذو الأصول الإسبانية أو الإيطالية؛ لأنهم كانوا يلبسون حزمات سوداء)، كيف استطاعا التفوق عليهم في الكثير من الأمور الخاصة بالدراسة، ووصولهما معا إلى المرحلة الجامعية ليختار حاييم تخصص الصيدلة و"أرسلان" الفلسفة لكن هذا لم

يمنعهما من الدفاع عن القضية الوطنية والاهتمام بحرب التحرير وتتبع أحداث هذه الحرب في البداية إلى الانخراط في خلية "سي فراحي" فيما بعد.

تعود بنا الشخصية الساردة/أرسلان إلى زمن الحرب، حيث يستعيد البطل أحداث أول نوفمبر بقوله: «فأستحضر، على دفتر لولي كبير، أياما أخرى من تلك التي تركت أثرها في وجداني، في حياتي وفي علاقتي؛ على إحساس بمرارة، وبغيط غالبا، على بداية سرقة تاريخية لما أثمرته تضحيات سبعة أعوام بالدم»²⁵، حيث يتذكر البطل "أرسلان" تلك الأعوام العصبية التي مرت على الشعب الجزائري، والتضحيات الجسام التي دفعها هذا الشعب لنيل حريته واستقلاله.

ويسرد الروائي أيضا على لسان الشخصية البطلة/أرسلان أجواء تلك الليلة النوفمبرية، وهنا أشارت الرواية أيضا إلى أحداث اندلاع الثورة المجيدة 01 نوفمبر 1954 التي أطلق عليها اسم ليلة عيد الأموات الحمراء «لو أن ما حدث في ليلة أول نوفمبر من تلك السنة، قبل اثني عشر عاما، لم يقدر له أن يحدث، أكان لي أن أجلس الآن في هذه المكتبة بكامل حريتي وأقف غدا صباحا (...) لمراسم رفع علم كان القانون، قبل خمسة أعوام فقط، لا يزال يعاقب على مجرد إشهاره على الناس»²⁶، فالبطل أرسلان يشير إلى فضل هذا الاستقلال وهذه الحرية التي نعم فيها بعد خروج الاستعمار الفرنسي الذي اغتصب أرضنا لأزيد من قرن وربع القرن.

عندما يتطلب الأمر استرجاع الكرامة والحرية تهون الاختلافات الدينية، وتختفي الفوارق الاجتماعية بين مثقف وجاهل، وكبير وصغير، وامرأة ورجل فوق تراب هذا الوطن، فالمهم هو استرجاع السيادة الوطنية بأي طريقة كانت، وهذا ما لمسناه في هذا العمل الروائي حيث إن "أرسلان" (البطل) ابن القايد "المنور حنيفي"، وكذلك "حايم" المثقف اليهودي الذي كان يدافع على هذا البلد إلى جنب بقية الإخوة بالرغم من اختلاف الديانة، فكان "حايم" يبعث بالأدوية إلى الإخوة من المجاهدين والمرابطين في الجبال، كما نلتمس تلك الصورة عن المرأة ودورها في الحرب، فكانت توكل لها مهام مثلها مثل بقية الرجال، تنقل الأدوية، تشارك في الاشتباكات، وتقوم بالعديد من الأعمال الأخرى، حيث ينقل لنا السارد عبر سطور هذه الرواية أيضا صورة عن الشباب الجزائري المثقف وأبرز مثال على ذلك نجد (حايم وأرسلان) ودورهما البارز زمن الثورة كما أشرنا، وشراء السلاح لتنفيذ العمليات بأمر من القيادة، تقول الشخصية البطل أرسلان: «تصورت دوافع دعوة "سمير مردوخ" إيانا حتى قبل أن يعاود ترحيبه ويطأطئ ثم ينهض حاملا في يده شيئا ملفوفا في قطعة كتان. ولكنني لم أتوقع، لما وضعت ذلك على التئسد فأحدث وقعا خشنا، أن يكون مسدسا. موزير ألماني. أعرف أن هذه القطعة ستعجب سيدي! قال، وحين فك قطعة الكتان عن المسدس، حذج حايم بنظرة مريبة، خشية أن يثنييني. هكذا خمنت. كنت سأعرضه على سيدي حنيفي، قال بمداهنة»²⁷. فابن القايد واليهودي خاطرا بأنفسهما لشراء السلاح وتنفيذ إحدى العمليات قبل الصعود إلى الجبل رفقة "زليخة" التي تصبح زوجة أرسلان فيما بعد، وفي ذلك الوقت وقبل اندلاع الثورة كثفت فرنسا من قواتها في الشرق الجزائري وبالضبط في منطقة الأوراس لتثديد الخناق عليها لأن هذه المنطقة أتعبت القوات الفرنسية كثيرا، فدفعت الكثير من جنودها وعتادها هناك «فيما كانت مركبات عسكرية على متنها جنود بالأسلحة في أيديهم تصعد الشارع نحو الشرق، على تباعد منتظم بينهما، مغطية بمدير محرقاتها على كل صوت كان يسمع في الخارج»²⁸.

كل الأعمال التي نفذتها مجموعة خلية "سي فراحي" أيام الحرب كانت في سرية تامة، وحتى بعد التحاق "أرسلان" و"زليخة" بالجبل «إن كنت التحقت بالجبل، اختيارا لا إكراها، لخوض حرب تحرير لا لصنع بطولة، فإن ذلك لا يهددني بعزة

نفس فلا أعتزف بأنه، شأن جميع المقاتلين، مس شخصي المرض، كالصداع والأنفلونزا والإسهال ومغص الأمعاء ونوبات المعدة، وشظف الحياة وقلة النوم، والإرهاق خلال السير، والخوف أثناء الاشتباكات التي أصبت في ثلاثة منها إصابات خفيفة في الرأس بفعل شظية وفي الذراع والساق بالرصاص، عاجلها لي ممرض الفرقة؛ في حين وقفت على مرضى ومجروحين أغمضوا إلى الأبد في صمت (...). فلاني اليوم لا أعزو نجاحي إلى حسن حظ، لأن الحظ مجرد وهم، بل إلى الصدفة (...). كما قلت لحايم يوما بعد الاستقلال».²⁹

يعود البطل "أرسلان" هنا إلى سرد الأحداث والوقائع عندما كان في الجبل، فيصف معاناته عند التحاقه في الأيام الأولى بإحدى الفرق وصعوبة اندماجه معهم ومع الحياة الجديدة في الجبال فكل شيء تغير عليه، ويضيف بقوله أن تجربة الحرب والجبال ليس شرطا أن تكون مثقفا لتستطيع الاندماج بسرعة: «فكيف لشخص مثلي، إذا، أن يركي نفسه أمام أرواح جنود لم يدخلوا مدرسة نظامية ولا انتموا إلى تنظيمات سياسية؛ يتميزون بالذكاء الخارق والشجاعة النادرة في حوض حرب عصابات لم يقرؤوا عنها في أي ملزمة أو كتاب نظري! منهم تعلمت كيف أروض جسدي على المجاهدة والمكابدة والصبر».³⁰ ويضيف البطل أرسلان قائلا: «زليخة، خلفي الآن في غرفة النوم بين يديها كتاب تقرأه ككل ليلة، لم تكن تعلم أن صعوده إلى الجبل، بعد عامين من صعودي للتحقق بالفرقة التي كنت انتميت إليها، شكل حدثا استثنائيا بالنسبة إلى الجنود الذين كانوا يسمعون، من حين إلى آخر، أن في هذه الكتبية أو الأخرى، في هذه الفرقة أو في تلك السرية، جنديات مقاتلات أو ممرضات».³¹

فهنا - كما أشرنا - أنفا دليل على حضور المرأة الجزائرية في حرب التحرير الوطني، ودلالة على أن هذا العنصر الفعال قام بمجهودات جبارة في تلك الحرب بتقلّم المساعدات للمرضى، وتعليم الجنود القراءة والكتابة، والقيام بالكثير من الأعمال الأخرى الموكلة إليهن، فشخصية "زليخة" هي رمز للمرأة الجزائرية مثلها مثل نساء الجزائر الأخريات اللاتي التحقن بجهة التحرير، وكان التحاقها بعد تنفيذها لعملية قتل المفتش "آلان بورسييه" «فمثل نور مؤنس، في ظلمة وحشه، راح حضور زليخة يشنو في وجداني كلما أبصرتها خلال تحركنا الدائم؛ في غمرة الاشتباكات أحيانا، في اجتماعات التعبئة، في التدريبات على نصب الكمائن وتكتيك الانسحاب، وفي حصص محو الأمية التي كانت تخصصها للجنود الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، مخففة عني بعض عبئي».³² وتوغلا في صفحات هذه الرواية راح البطل "أرسلان" ينقل لنا أحوال الحرب، خوفا على والديه من التنصية؛ لأن فرنسا صارت لا تتق في أي كان، حتى لو تعلق الأمر بالقائد حنيفي الذي كان مواليا لها «أحسست في جسدي كله كمثل ديب النمل لما كان يسكن قلبي في الجبل خوفا عليهما من تصفية أحدهما أو هما معا في خضم حرب كانت قد ازدادت، في عامها السادس، ضراوة وشدة، مختلفة الموت والخراب والحزن اليومي؛ في المواجهات الدامية كما في التجاوزات من جانب الجيش الفرنسي بحق المدنيين في الأرياف بالتهجير والتقتيل واستعمال الأسلحة المحظورة. ومن جانب ج ت و في الذبح والتنكيل في صفوفها هي وبحق الأهالي لأي اشتباه أو تقاعس أو وشاية»³³، فلنيل الاستقلال دفع الجزائريون أرواحهم ثمنا لذلك، فكانت فرنسا تواجههم بأبشع صور القتل والتنكيل والتشريد لإبادتهم جميعا والقضاء عليهم، لكن إصرار أبناء هذا الوطن بأن لا شيء يعلو على حريتهم في بلدهم الذي اغتصب من طرف الأوربيين وصاروا ممتلكين فيه، فهذه صورة من آلاف الصور عن حال ومعاناة الأهالي زمن الاحتلال الفرنسي للجزائر «على طول الطريق التي قطعناها من "الاورودت" إلى حي المحطة، عبر شارع "إينزلي" و"كمبيطة"، كنا نرى حالة الحرب التي حولت هذه المدينة إلى معتقل مفتوح على السماء؛ لا حركة فيه للأهالي إلا تحت حراسة مشددة، بالأصابع على الزنادات ونظرات العيون المدينة، من عساكر المظليين واللفيف الأجنبي كما من هؤلاء الذين يكرههم الأهالي، كرههم للخنزير؛ لأنهم من جلدتهم ودينهم وهم مع ذلك يرفعون السلاح في وجوههم ويهينونهم ويعذبونهم ويقتلونهم أيضا».³⁴

وينقل البطل "أرسلان" صورة أخرى من صور التأزر والتآخي بين الجزائريين فيما بينهم في أيام الثورة، وذلك التكاتف الشعبي بين الأهالي والمجاهدين في الجبال «بينما تضطلع والدتي بترتيب المعونات العينية، من دقيق وسمن وسكر وقهوة. فتكلف عثمان شحن ذلك نحو الجبل على ظهر البغل، بعد أن يضبط الموعد مع خيط الاتصال الذي يكون لاقاه في سوق القرية الأسبوعية. وكان ذلك لا يتم إلا ليلا عبر مسلك مؤمن تمحي آثار السير فيه بفروع الشجر ذهابا وإيابا»³⁵، وكان هذا العمل خطرا على كل الأهالي الذين يقدمون مساعدات لمجاهدي جبهة التحرير أو حتى نقل الأخبار منهم وإليهم، فكانت فرنسا تعاقب وتقتل كل من سولت له نفسه التفكير في مساعدة الجبهة بأية طريقة كانت.

2- الوثيقة التاريخية:

يعتمد كثير من الروائيين الذين يكتبون في مجال الرواية التاريخية على الرجوع أو العودة إلى الأرشيف خاصة؛ للتأكد من بعض الحوادث التاريخية الموثقة، فهناك وثائق تاريخية يمكن أن ينقلها الروائي كما هي (مادة تاريخية) ويوظفها في نصه الروائي، وهناك مجموعة من الوثائق التي يمكن أن نقول عنها أنها تاريخية، والتي دعم بها الروائي هذا النص السردي التاريخي، يقول البطل "أرسلان": «لكن دهشتي البديعة من جدتي كانت حين ترجمت لها من كراستي ما كنت سجلته عن تأسيس مدينة سعيدة الكولونالية. "بعون الله والإرادة الوطنية. نحن إمبراطور الفرنسيين في الحاضر والآتي. رسمنا بمرسوم مايلي: مادة 1. يُنشأ قرب واد الوكريف في المكان المسمى سعيدة، التابع لقسم وهران، مركز لسكان من الأوربيين مكون من مائتي نار. ويحتفظ باسم هذا المكان. حرر في باريس يوم 4 جوان 1862م. نابليون الثالث»³⁶، هذه الوثيقة التاريخية التي حررت بباريس في 4 جوان 1862م، تنص على إقامة مجمع سكنات خاص بالأوربيين بسعيدة بالضبط بجانب الواد المسمى الوكريف، ومنها كذلك الجرائد الرسمية التي كانت تصدر آنذاك، حيث صورت لنا حالة الطوارئ التي أطلقتها فرنسا بعد ليلة عيد الأموات تلك، وبينما كان "أرسلان" و"حايم" جالسين في المقهى يقرآن جريدتي "ألجي ريبيلكان" و"إيكو دلجي" حتى قال "حايم": «فرنسا، بفعل إعلان حالة الطوارئ منذ الحادي والثلاثين من مارس الماضي، في كل من منطقتي الأوراس والقبائل الكبرى، وإقرار الرقابة على الصحافة، ستعرف كيف تضع، في وقت وجيز، حدا للأعمال الإجرامية التي يأتيها الإرهابيون وتقمع النشاطات الهادمة التي يقوم بها المساندون لهم من الشيوعيين في الصحافة وفي النقابات. وعليه، لابد من التذكير، هنا، بأن الجزائر هي فرنسا. وفرنسا لن تعترف داخل أراضيها بسلطة أخرى غير سلطتها. ومهما تكن الوقائع المؤلمة، تلك التي تجري كل يوم مخلفة ضحايا في صفوف قوات الأمن والمدنيين أيضا، فإننا لن نزداد إلا إصرارا على أن لا نتساهل مع المخربين ولا مع الداعمين لهم لحماية الجمهورية وبسط سيادتها. هذا يعني أنه صار ضرورة ملحة حظر الحزب الشيوعي الجزائري الذي قرر الانتقال إلى العمل المسلح إلى جانب إرهابيي جبهة التحرير»³⁷، فهذا يدل على أن "حايم" و"أرسلان" كانا يلتقطان كل كبيرة وصغيرة من أخبار تخص جبهة التحرير ويتتبعان الجرائد الرسمية التي كانت تصدر آنذاك، وهنا إشارة أيضا إلى الحزب الشيوعي الجزائري الذي لم يؤمن في البداية بالعمل المسلح، لكن ما أخذ بالقوة حتما لا يسترد إلا بالقوة، وليس هناك مجال للمساومة فوق أرض لا يملك منها هذا العدو شبرا.

وبينما كان البطل "أرسلان حنفي" و"حايم بن ميمون" يتجولان في الشارع مرا، على كشك لبيع الجرائد، فلاحظا أمرا لم يكن يحدث من قبل وهو نفاذ الجرائد كلها في ذلك اليوم «فضحكنا وعرجنا على كشك الجرائد الذي فاجأنا، إذ وقفنا أمامه، بأن جميع الصحف، المعتاد بقاؤها إلى أن تلحق بها صحف المساء، نفذت. وأن ما كان معروضا منها ظهر مضروبا، على صفحاتها الأولى بشرائط مائل أو أفقي كتب عليه طبعة خاصة (...). ليلة عيد الأموات كانت حمراء بالبنت الغليظ الأحمر وتحتة بالأسود عمليات دامية في مناطق كثيرة من الجهة الشرقية للبلاد نفذها خارجون عن القانون، وكان يظهر على ظهر الجريدة التي نطالعتها

باستمرار، اقتنينا نسخة واحدة من خمسة عناوين (...) تبادلنا الصحف مكتفين بقراءة المامنشيتات. هجمات مسلحة في الشرق القسنطيني والغرب الوهراني طالت منشآت عسكرية ومحافظات للشرطة ومخازن ومباني عمومية ووسائل اتصالات»³⁸، فأرسلان وحايم كانا مهتمين جدا بتتبع الأخبار المتعلقة بحرب التحرير، فكانا يحصلان على هذه الأخبار من الجرائد؛ لأن معظم العمليات كانت تحدث في الشرق الجزائري، وكانت فرنسا تطلق على المجاهدين بالخارجين عن القانون أو الفلاقة أو الإرهابيين، ولعل هجومات الشمال القسنطيني دليل بارز على التفات الشعب وتمسكه بالقضية، فكانت هذه الهجومات بمثابة المتنفس للثورة؛ لأنه رفع عنها الضغط وأبان عن وعي هذا الشعب وتمسكه ببصيص أمل يقود إلى الحرية، وهذا ما أربك الاستعمار الفرنسي الذي كان يظن أنه ممسك بزمام الأمور.

تشير الرواية أيضا إلى وثيقة أخرى على لسان شخصية "الصادق" «هذه مجلة كونسيونس ألبيريان»³⁹، وهي مجلة ذات توجه مسيحي معاد للاستعمار تظهر كل شهرين، صدر العدد الأول منها في 1950م، حيث لم يكن "أرسلان" و"حايم" قد عرفاها بعد، وكذلك الإشارة إلى جريدة أخرى هي جريدة "صدى سعيدة" حين يقول البطل "أرسلان": «في الأثناء انشغلت بتصفح جريدة المدينة "صدى سعيدة" ليوم الخميس الماضي. على صفحتها الأولى صورة لإنزال عسكري من طائرة عمودية من نوع الموزة في أحد الأرياف، فوقها بالبنت الغليظ "ملاحقة الإرهابيين متواصلة"»⁴⁰، وقوله: «كنت قرأت خبرا عن تنفيذ حكم إعدام ثان في حق شاب من المدينة ألقى قبلة في ملعب الكرة الحديدية

- بالفعل. في الثاني عشر من جويلية الماضي»⁴¹، وأيضاً قوله: «نشر حايم أمامي جريدة "صدى سعيدة" في صفحتها الأولى من عدد الخامس والعشرين من أكتوبر»⁴².

وقد ذكرت في الرواية أيضا مجموعة من الوثائق التاريخية متعلقة بقوانين أصدرتها فرنسا في ذلك الوقت على الأهالي منها كما يقول البطل "أرسلان": «قبل تلك العطلة الصيفية، على إثر مناقشة مع الصادق عن قوانين مصادرة أراضي الأهالي بذريعة المنفعة العامة أو بحكم العقاب الجماعي ضدّهم ردعا لهم على موالاتهم مترعمي مقاومة الاحتلال وعن طردهم إلى سفوح الجبال والأحراش ورميهم إلى الفاقة والمرض والانقراض، كنت راجعت في قسم التاريخ مصادر اهتمت بتلك القوانين، وقرأت في أحدها، على دهشة اكتشافي ذلك، أن نظام التنازل عن الأراضي في المستعمرة الجديدة صار يقضي بأن يكفي الراغبين في الهجرة من المتروبول إلى الجزائر، ليصبحوا معمرين، أن يكون الواحد منهم يملك موردا ماليا يبلغ ألفا وخمسمائة فرنك قدم ليحصل على قطعة أرض لبناء مسكنه، وعلى قطعة أرض أخرى زراعية تقدر باثني عشرة هكتارا. على أن يُضمن له هو وأهله السفر مجانا من المتروبول وزاد الطريق إلى نقطة وصوله حيث يجد ملجأ مهيا يؤويه مؤقتا. ثم يُسلم أدوات البناء لإقامة بيته وكذا معدات فلاحية وبدورا وبهائم للحرث.»⁴³، فهذه طريقة من طرق السياسة الاستعمارية في نهب واستغلال أراضي الجزائريين ومنحها للمعمرين الفرنسيين، وبأساليب متعدد تحت ذريعة القانون، فقد أصدرت فرنسا منذ دخولها الجزائر العديد من القوانين المجحفة في حق هذا الشعب تشجيعا للحركة الاستيطانية على الجزائر، وبالتالي تجريد هذا الشعب من هويته الوطنية «وتمخضت عن هذه القوانين جملة من القرارات والمراسيم في إطار تطبيق مبدأ المصالحة العامة كمد الطرق وإقامة الجسور والمراكز العسكرية.. وغيرها، على غرار مرسوم 22 جوان 1834م»⁴⁴، وقانون مصادرة الأراضي ليس وليد الفترة الاستعمارية بل له جذور تاريخية تعود إلى العهد الروماني.

أما الوثيقة الأخرى التي أشار إليها الروائي في هذه الرواية على لسان البطل "أرسلان" هي وثيقة قانون التجنيس الذي استفاد منه الأوروبيون* والأقدام السوداء** على حسب قول البطل: «وهم الآن يرون إنسان هذه الأرض، الأنديجان كما ظلوا يعتبرونه، ينهض من رماد الاحتقار التاريخي الذي مرغوه فيه ليواجههم بعد أن ظنوا أنهم دجنوه إلى الأبد.

– أرسلان. أنت تعرف أن غلاة الأوروبيين والأقدام السوداء من أحفاد المهاجرين الأسبان والإيطاليين والمالطيين واليهود أيضا المستفيدين من قانون التجنيس ومن الامتيازات التي يحظون بها، مقابل حال الأهالي المزرية البائسة، هم الذين، في الإدارة وفي الاقتصاد والتجارة والزراعة وفي مؤسسات البوليس والجيش والجامعة»⁴⁵.

هناك مجموعة من القوانين الخاصة بالتجنيس منها: ما يسمى قانون "كريميو" الذي أصدره آنذاك وزير العدل اليهودي ومفاده أن يجعل من يهود الجزائر مواطنين فرنسيين لهم كافة حقوق المواطنة وكان إصداره في 24 أكتوبر 1870م، وقانون تجنيس الأسبان لأنهم شكلوا الجزء الكبير من السكان في الغرب الجزائري وهو الجزء الغالب من الأوروبيين الآخرين، وهذا ما أخاف السلطات الفرنسية من أن يشكل هذا عليها خطرا في المستقبل بعد زيادة عدد السكان الأسبان، كما أصدرت فرنسا أيضا قوانين تجنيس أخرى تخص الأشخاص الأجانب المولودين في الجزائر وفق شروط وقوانين.

قانون الأهالي الذي صدر سنة 1871م، أي بعد واحد وأربعين سنة من احتلال الجزائر هو وثيقة تاريخية أخرى من مجموع الوثائق التي تم ذكرها، والتي شكلت بنية هذا النص الروائي حيث استعان بها "الحبيب السائح" لتوثيق وتدعيم بعض الحوادث التاريخية في روايته "أنا وحايم"، حيث يضيف البطل "أرسلان بن القايد المنور": «هل تذكر كيف صممت للحظات، وأنا أنظر إليك شارد الذهن عنك، أتساءل أكانت بشريةً وجوه واضعي قانون الأهالي قبل حوالي قرن من الآن؛ ذلك القانون الذي كنت قرأت علي منه هذه الفترة، "إن الأهالي، مسلمين أو يهودا، هم فرنسيون ولكنهم لا يجوزون حقوقا مدنية ولا حقوقا سياسية: إنهم يجوزون جنسية الرعية، بصفة افتراضية" – كان ذلك في الأستوديو خلال مناقشة بيننا يوما على الميز العنصري الذي يكرسه ذلك القانون تحت الاحتلال»⁴⁶، والهدف من هذه القوانين هو جعل الجزائر فرنسية، وبسط نفوذها على كل التراب الجزائري، وكذلك محو كل شيء يتعقل بالهوية الوطنية من لغة وقيم وعادات وتقاليد... إلخ.

إن هذه الوثائق التاريخية الموجودة في رواية "أنا وحايم"، ما هي إلا إشارة صريحة من الروائي إلى السياسة الاستعمارية المنتهجة في حق هذا الشعب على مدار القرن وربع القرن، وبهذا فهي نقد للسلطة الاستعمارية والأعمال الإجرامية التي استعملتها فرنسا ضد الشعب الجزائري لإذعانه وكسره، وهي إدانة صريحة لفرنسا في ذلك الوقت، والآن ومستقبلا أمام الرأي العام العالمي على ما فعلته من جرائم في حق المتروبول والذي يُقصد به الحرب الفيتنامية.

3- استدعاء الشخصيات التاريخية:

بينما كان البطل "أرسلان" جالسا مع جدته التي أخبرته عن حادثة سمعتها من أحد أجداده الذي روى لها عن دار الأمير «فحدثني بأن أحد أجدادي روى لها يوما أن قائد الحملة الفرنسي لما وقف على دار الأمير الشخصية ذهل. وصرح لمن حوله بأنه يجدها تليق بسمعة قائد كبير على ذوق رفيع (...). وقالت كأنها تطرح تساؤلا:

ذلك القائد كان يسمى الجنرال بيجو!

- فعلا! وهو الذي أمر بتخريب تلك الدار اللطيفة وإحراق المدينة الصغيرة! أحببت مبهورا»⁴⁷، ويضيف "أرسلان" قائلا: «وقرأت ما قد كتب نقيب شارك في غزو المنطقة: "وبينما كانت مطاردة العدو مستمرة فإن العقيد "دوقو"، بأمر من الجنرال "بيجو"، كان يكمل تهديم التحصينات التي رفعها عبد القادر. وبمجرد أن تم تدمير المدينة البدائية بدأ التفكير في بناء لارودوت، بسور يبلغ محيطه ثمانمائة متر وارتفاعه خمسة أمتار»⁴⁸، في هذا الشاهد عودة إلى زمن "الأمير عبد القادر" والجنرال الفرنسي "توماس روبيير بيجو" وككل الجنرالات فإن سياسة هذا الأخير تميزت بالتهجير والتقتيل والنهب وممارسة العنف بكل أشكاله ضد الجزائريين على حسب ما ذكر التاريخ عن هذا المجرم، وعلى لسان السارد فإن الجنرال "دوقو" وبأمر من "بيجو" قام بمدمم التحصينات التي أقامها الأمير عبد القادر، وبعد أن خرب مدينة الأمير بنى على أنقاضها "لارودوت".

أشارة الرواية أيضا إلى شخصية الشهيد "أحمد زبانة" الذي تم إعدامه بالمقصلة، يقول البطل "أرسلان" بعد ما كان في رحلة على القطار عائدا من وهران إلى تلمسان: «فقد طالعت في "صدي وهران" قبل ثلاثة أيام مقالا يذكّر في لهجة رديعة بتنفيذ أول حكم إعدام بالمقصلة في سجن بربوس الرهيب في حق أحمد زبانة المسؤول الحربي لمنطقة زهانة، جنوب وهران؛ وفي الصحف الأخرى الواردة من المتروبول قرأت خبرا عن التعزيزات العسكرية والمعدات التي تصل من هناك»⁴⁹، فالشاهد أحمد زبانة هو رمز من رموز الثورة المجيدة راح ضحية المقصلة، وذكر في الرواية على أنه أول شخص ينفذ فيه هذا الحكم إبان ثورة التحرير الكبرى، وهذا البطل الثوري حسب ما رواه السارد أنه كان مسؤولا حرييا لمنطقة زهانة، وقد ذكر أيضا الجنرال "بيجار" حين يسرد البطل "أرسلان" على لسان الضابط "زيد" الذي أخبره بقصة العقيد "بيجار" مع والده "القايد المنور حنيفي"، وكيف أهان الأول الثاني: «يومها، كشف لي الضابط زيد عن قصة والدي مع العقيد بيجار، قائد المضليين، كما بلغه عنه من أحد الفارين من الجيش الفرنسي. وبمها كان صدري قد امتلأ كرها للعقيد؛ للغرسة التي أبداها تجاه والدي والإهانة التي ألحقها به»⁵⁰، ونقل له الحديث الذي دار بينهما بمكتب العقيد في المدينة، حيث أراد هذا الأخير الضغط على "القايد" بسبب ابنه "أرسلان"، الذي انظم إلى جبهة التحرير في الجبل، لكي يخرجه بمكانه لكن "القايد حنيفي" بجنكته استطاع أن يفلت من تساؤلات وضغط الجنرال "مارسيل بيجار".

الجنرال "ديغول" هو أحد الشخصيات التاريخية الفرنسية، جاء ذكر هذا الاسم على لسان السارد الذي كان عائدا قبل يومين من "ساحة ريموند بوانكاري"، مقابل البلدية، وهذه الساحة التي زارها "ديغول" بعد أن سيقت له الحشود «لاستقبال الجنرال دوكول (...)» في هذا اليوم 1959.08.27م، حتى ارتفعت أصوات مرددة شعار "الجيري فرانساز" (...) ولم يكن الجنرال يبدو مقتنعا كثيرا وهو يتحدث في خطابه عن المشروع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لاندماج الجزائر نهائيا في فرنسا، في ذروة هذه الحرب»⁵¹، حيث يرى البطل "أرسلان" أن هذه الزيارة ما هي إلا خطة لتشتيت رأي الأهالي وتحويلهم عن مساندة جبهة التحرير الوطني.

الختام:

لا يمكننا في هذه الورقة البحثية الموجزة -حسب اعتقادنا- التطرق بإسهاب إلى علاقة الرواية بالتاريخ، والحديث عن الرواية التاريخية في الجزائر، مروراً بكل الروائيين الجزائريين الذين وظفوا التاريخ الوطني أو الإسلامي في أعمالهم، وقد لا تكفي هذه الأسطر لتقديم قراءة مفصلة عن رواية "أنا وحايم" للحبيب السائح حتى في جوانب تمثلها للتاريخ؛ لما تزخر به من مادة تاريخية (وثائق،

تاريخ، شخصيات) تفرض على القارئ العودة إلى الأرشيف الخاص بالثورة التحريرية وشخصياتها لفك شفرات هذا النص الروائي من جهة، ومن جهة ثانية يبقى هذا النص مفتوحاً على تأويلات وقراءات أخرى لفك شفراته.

الهوامش:

- ¹ - جون هالبرين: نظرية الرواية "مقالات جديدة"، تر: محي الدين صبحي، د.ط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (دمشق)، (سورية)، 1981م، ص177.
- ² - ينظر: أنيسة أحمد الحاج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي (دراسة في نقد النقد)، إ.عز الدين المخزومي، كلية الآداب والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، (وهران)، (الجزائر)، 2015م/2016م، ص11.
- ³ - جنات بلحن: السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013م، ص45.
- ⁴ - ينظر: محمد برادة، سلطة الرواية والتخييل في الثقافة العربية، مجلة الثقافة، العدد 09، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير، 2007، ص70.
- ⁵ - عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت)، 2004م، ص47.
- ⁶ - paul Ricoeur, Du taxte à l'action (Essais d'herméneutique), Editions du Seuil, paris, 1986, p176.
- ⁷ - عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، دار نوبليس، (بيروت)، (لبنان)، ج1، ط1، 2005م، ص17.
- ⁸ - زينب قبي: ندوة الرواية والتاريخ "آراء روائيين جزائريين"، مجلة الثقافة، العدد 9، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير، 2007، ص148.
- ⁹ - المرجع نفسه: ص149.
- ¹⁰ - مريم فريجات، التحليلات الملحمية في رواية الأجيال العربية، وزارة الثقافة، (الأردن)، ط1، 2006، ص59.
- ¹¹ - ينظر: عزيز علي: جورج لوكاتش حول "الرواية التاريخية" على الرابط التالي: <http://almadasupplements.net>
- ¹² - ينظر: نضال الشمالي، الرواية و التاريخ- بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، (إربد)، (الأردن)، ط1، 2006، ص113.
- ¹³ - مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، (بيروت)، ط2، 1980، ص184.
- ¹⁴ - محمد حسن طيبيل، تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، (مخطوط)، العام الجامعي 2016، ص5.
- ¹⁵ - عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، (مصر)، ط1، ص33.
- ¹⁶ - ينظر: محمد البكر البوجي، روايات نجيب محفوظ التاريخية، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد 11، العدد 2، 2009، ص210.
- ¹⁷ - محمود أمين العالم، أربعون عاما من النقد التطبيقي "البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة"، دار المستقبل العربي، (القاهرة)، د.ط، 2009م، ص13.
- ¹⁸ - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- ¹⁹ - جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الطليعة، (بيروت)، 1978م، ص46.
- ²⁰ - جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد)، (العراق)، ط2، 1986، ص89.
- ²¹ - محمود أمين العالم، البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة، ص14.
- ²² - عبد الحميد القط: عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، (مصر)، ط1، د.ت، ص33.
- ²³ - حسن مجراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، (بيروت)، (لبنان)، ط1، 1990م، ص121.
- ²⁴ - الحبيب السائح: أنا وحايم، رواية، دار ميم للنشر، (الجزائر)، الطبعة الأولى، 2018م، ص11.

- 25- الرواية: ص19.
26- الرواية: ص113.
27- الرواية: ص156.
28- الرواية: ص163.
29- الرواية: ص175.
30- الرواية: ص175.
31- الرواية: ص176.
32- الرواية: ص177.
33- الرواية: ص190.
34- الرواية: ص202-203.
35- الرواية: ص193.
36- الرواية: ص107.
37- الرواية: ص130-131.
38- الرواية: ص124.
39- الرواية: ص94.
40- الرواية: ص144.
41- الرواية: ص144.
42- الرواية: ص167.
43- الرواية: ص103-104.
44- ينظر: م أجاوت، جريدة المساء، 03-12-2013، <https://www.djazairress.elmassa.com>.

* يقصد بها الفرنسيين.

** يقصد بها كل الذين دخلوا أرض الجزائر خلال الاحتلال، خاصة ذوي الأصول المالطية والإيطالية والإسبانية؛ لأنهم كانوا يلبسون جزمات سوداء.

- 45- الرواية: ص206.
46- الرواية: ص132.
47- الرواية: ص105-106.
48- الرواية: ص107.
49- الرواية: ص140.
50- الرواية: ص193.
51- الرواية: ص208.

المراجع:

- 1- جون هالبرين: نظرية الرواية "مقالات جديدة"، تر: محي الدين صبحي، د.ط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (دمشق)، (سورية)، 1981م.
- 2- ينظر: أنيسة أحمد الحاج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان الاتجاه الاجتماعي في النقد الروائي في المغرب العربي (دراسة في نقد النقد)، إ.عز الدين المخزومي، كلية الآداب والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، (وهران)، (الجزائر)، 2015م/2016م.
- 3- جنات بلخن: السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2013م.
- 4- ينظر: محمد برادة، سلطة الرواية والتخييل في الثقافة العربية، مجلة الثقافة، العدد 09، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير، 2007.

- ⁵ - عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون (المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، دار الفكر للطباعة والنشر، (بيروت)، 2004م.
- 6- paul Ricoeur, Du taxte à l'action (Essais d'herméneutique), Editions du Seuil, paris, 1986.
- 7- عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، دار نوبليس، (بيروت)، (لبنان)، ج 1، ط 1، 2005م، ص 17.
- 8- زينب قبي: ندوة الرواية والتاريخ "آراء روائيين جزائريين"، مجلة الثقافة، العدد 9، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير، 2007.
- 9- مرتيم فريجات، التحليلات الملحمية في رواية الأجيال العربية، وزارة الثقافة، (الأردن)، ط 1، 2006.
- 10- ينظر: عزيز علي: جورج لوكاتش حول "الرواية التاريخية" على الرابط التالي: <http://almadasupplements.net>
- 11- ينظر: نضال الشمالي، الرواية و التاريخ- بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، (إربد)، (الأردن)، ط 1، 2006.
- 12- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، (بيروت)، ط 2، 1980.
- 13- محمد حسن طليل، تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، (مخطوط)، العام الجامعي 2016.
- 14- عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، (مصر)، ط 1.
- 15- ينظر: محمد البكر البوحي، روايات نجيب محفوظ التاريخية، مجلة جامعة الأزهر، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد 11، العدد 2، 2009.
- 16- محمود أمين العالم، أربعون عاما من النقد التطبيقي "البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة"، دار المستقبل العربي، (القاهرة)، د.ط، 2009م.
- 17- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الطليعة، (بيروت)، 1978م،
- 18- جورج لوكاش: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد)، (العراق)، ط 2، 1986.
- 19- عبد الحميد القط: عبد الحميد القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، (مصر)، ط 1، د.ت.
- 20- حسن بحرأوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، (بيروت)، (لبنان)، ط: 1، 1990م.
- 21- الحبيب السائح: أنا وحايم، رواية، دار ميم للنشر، (الجزائر)، الطبعة الأولى، 2018م.
- 22- ينظر: م أجوات، جريدة المساء، 03-12-2013، <https://www.djazairress elmassa.com>